الفترة الفاطمية

العاصمة: "المسيلة"

من 296-361هـ 909-972م؛

الحياة الثقافية:

اجْتهدتِ الدّوْلةُ العُبيْدِيَة في نشْرِ الثقافةِ الإسْلاَمِيَة و خِدْمَة العِلْم بمُخْتلف الأَلْسُنِ وَ اللغات.. وقد كان « الصّراعُ القائمُ بيْن عُلماء و أدَباء الشّيعة و زُمَلائِهِم السُّنّيين مَدعاة لإعَانَة الثّقافة على الإزْدهار. فكلّ فرْقةٍ تدافعُ عنْ آرائها و تتفنّنُ في أسَاليبِ إقناع الخصم، فكثرتِ المقالات النّثرية و القصائد الشّعْرية ....»[42]

« كان ذلك أول عهد المغرب بالفلسفة و مباحثها الممتزجة بعقائد الشيعة (...) و يوم أنْ توجه المُعِزّ للرّحيل إلى الدّيارِ المِصْرِية حملَ معهُ منْ بِلادِ المَغْرب و الأندلس صُنّاع التّصاوِير وكلّ نوابغ الفنون الجميلة و كان فيهِمْ رجالٌ منَ القبيلة الجزائرية الكبْرى "كتامة" يُسَمّوْنَ المُزَوّقين... كانوا يُزَوّقون الجُدْران بِألوانٍ مُتعدّدةٍ منَ الأصْباغ (...) و كان رئيسُ الجمَاعَة، رَجُلاً يُعْرَفُ بِاسْم: "الكتامي"، صنع صورةً ليُوسُف عليْهِ السّلام و هُوَ في الجُبِّ عرْياناً والجُبُّ كلهُ أسْوَد. و مِمّا أثبته التاريخ، لهذا الخليفة العُبيْدي أنّهُ هوَ الذي أمَرَ بِصُنْع قلم الحِبْر stylographe (...) فقد ورد في كتاب الخصائص و المُسَامرَات للقاضي النّعْماني عنْدَ كلامِهِ عن الإمام المُعِزّ، مُخْترِع هذا القلَم « ثمّ مرّتْ أيامٌ، حتّى جاءَ الصّانعُ يحْملُ قلماً من ذهب، فأوْدَعَهُ المِدادَ، وكتبَ به، و زَادَ شيْءٌ مِنَ المِدَادِ عَنْ قدْرِ الحاجَة؛ فأمَر بإصلاحِه... فإذا هو يُقلب باليد و يميلُ إلى كلّ ناحية... ثم إذا رَفعهُ عنِ الكِتاب، أمْسكَ المِداد، فرَأيْتُ صنْعةً عجيبةً، لم أكنْ أحْلمُ أنّي أرَى مثلهَا... »[43]

بَرَز في فترة العُبيْديّين الفاطميين على مُستوى الشعر، الشاعر الكبير؛ ابن الهانيء الأندلسي الذي اسْتهوتْه مِنْطقة الزّابِ الجَزَائرِي... فنَظمَ فيها و في مَمْدوحِيه الشّعْرَ الكثير.... يقول:

خليليّ أين الزاب منـي و جعفر * و جنات عدن بنْتُ[44] عنهـا و كوثـر

فـقبْلي نــأى عـن جنة الخلد آدم * فما رَاقه من جانب الأرض مـنظـــر

1) محمّد الطمّار، تاريخُ الأدَبِ الجزَائرِي، ص 104.
2) عبْد الرّحمن بْن محمّد الجيلالي، تاريخ الجزائر العامّ، ص 231.
3) بنتُ: بعُدْتُ

لـقـد سـرّنـي أنـي أمـــرٌ بباله * فـيـخـبره عـنـــي بـــذلك مـخـبـــر

و قـــد ســاءنـــي أنـي أراه ببلدة * بها منسك[45] و منه عظيم و مَشْعـر[46]

و قـد كـان لي منه شفيع مشفع * بـه يـمـحـص الله الذنـوب و يـغفـر

أتـى النـــاس أفـواجاً إليك كأنما * من الزاب بيتٌ أو من الزاب محشر

فـأنـت لِـمَنْ مـزّق الله شـمله * و مـعـشـره و الأهلَ أهل و معشر

النص 2 :

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار * فاحكمْ فأنتَ الواحد القهّـــار

و كـأنمـا أنـت النـبـي محّمد * و كأنما أنصارُك الأنصـــارُ

أنـتَ الـذي كانت تُبشّرُنا به * في كتْبها الأحْبار و الأخبـار

هذا إمـــام المُتـقـين و مَن به * قد دوّخ الطغيان و الكفّـــار

هذا الذي تُرْجى النجاة بحبِّه * و به يُحطُّ الإصْرُ و الأوزارُ

من آلِ أحمدَ كلُّ فخرٍ لم يكنْ * ينمي إليهم ليس فيه فخـــار[47]

و كم تمنّيْتُ أنْ أعْثرَ على نُصوصٍ نثرِية لهذه الفتْرة منْ فتراتِ الجزائر، لكنّي لمْ أفلحْ في ذلك... فاكتفيتُ بنموذج ابن الهانيء... وَ كُلّي أسَفٌ... فحتّى الكُتبُ التي أشْتغلُ عليْها، تُشيرُ إلى وُجودِ كتاباتٍ نثرية لـلجـزائـريـيـن آنـذاك، و لكنّ هذه الكتبَ لا تُمَثلُ لِلمَكْتوب، بِنُصوصٍ

4) منْسَك: مكان العبادة
5) مشعر: جمع مشاعر
6) عمر بن قينة، أدب المغرب العربي قديماً، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون/الجزائر، السنة 1994. الصفحات: 63- 65.

تمْثيلية؛ يَسْتفيدُ منْها البَاحِث في التّرَاث الجزائري... فهل هو التّقصير.. أمْ هوَ غيابُ النّصُوصِ فعْلاً؛ في أتُونِ الفِتنِ و الإضْطِرَابَات...؟ و على العموم؛ فأخْذ القليل خيْرٌ مِنْ ترْكِ الجَميع.